جسدي وفاته أن يدرك علاقتها اللغوية بين أنوثة اللغة وبياض الصفحة. فدفع بذلك ثمناً باهظاً هو فحولته التي أدرك أخيراً أنه قد فقدها وأنه ضحية لهذه الصقور البيضاء ولهذه (التورية) بلونيها الأسود على الأبيض.

أدرك أخيراً سر اللون الأبيض واتحاده مع المرأة وأدرك أنه لم يكن الصياد كسابق عهده ولكنه الفريسة (ص 227).

اغتالته الصفحة البيضاء ووقع تائها بين طرفي التكوين اللغوي الدال والمدلول حيث أعادت المرأة تركيب اللغة ولعبت بسياقاتها الدلالية والبلاغية.

وإن كانت للمرأة تجربة مديدة مع السرد فإنها قد احتالت بالسرد لاقتحام قلعة اللغة ودكت بذلك حصون الرجل المضروبة حول مدينة اللغة، وذلك منذ زمن شهرزاد. حتى لقد صارت السردية مهارة نسوية ومجازاً أنثوياً. وليست رواية (ذاكرة الجسد) إلا تطويراً لهذه المهارة وتوظيفاً لمكتسباتها.

صار السرد مجازاً أنثوياً من حيث هو قناع لغوي تحتال به المرأة على سلطة الفحل لأنها بالسرد تظهر غير جادة في لحظة الجد وغير صادقة في لحظة الصدق وغير فاعلة في لحظة الفعل.

تدخل في لعبة لا يعلم الرجل فيها من القط ومن الفأر. وتلعب أشرس أنواع السخرية والمفارقة حين تجعل الفحل يشتمها حيناً ويتمسكن إليها حيناً ويكرهها حيناً ويحبها حيناً. يكون أباً حيناً ومزوراً حيناً. يكون شهيداً وخائناً حيواناً وإنساناً طاهراً ومدنساً.

يجري هذا في (ذاكرة الجسد) مثلما جرى في ألف ليلة وليلة. إنها تورية أنثوية ومجاز نسوي جعل السرد مبتكراً لغوياً لا يحصن صاحبته فحسب ولكنه أيضاً يدك قلاع الخصم ويهشم أركانه، ويجعل الأنثى تنتصر أخيراً وتحافظ على بقائها وعلى معنوياتها.